التُراث العربيّ المسيحيّ-المركز الثقافيّ الفرنسيسكانيّ، العدد الثالث (يوليو 2017 م)
JACI-CCF Issue 3 (Egypt, July 2017), 469-474.

من أعمال المؤتمر الرّابع والعشرين

لأصدقاء التُراث العربيّ المسيحيّ

معهد الدراسات القبطيّة، القاهرة

(26-27 فبراير 2016م)

حياة «أبو السعد الأبو تيجي»، مؤلف المدائح العربيّة[†]

القس/ تكلا نجيب إسرائيل *

1- مقدمة البحث:

إن تاريخ مصر يتشابه مع نيل مصر في أكثر من ناحية ومن يتتبع قصة هذا الوادي يجدها تسير هادئة، وأحياناً هادرة منسابة في أسترخاء أحياناً متكسرة على الصخور الصلدة فهو يشبه أنسياب النيل في هذا كله، وهناك تشابه أخر نجده قبل إنشاء السد العالي حين كان النيل يعلو في موسم الدميرة (الفيضان) وتفر مياهه المحمرة المليئة بالطمي ثم يهبط منسوبه تدريجياً وتصبح مياهه هادئة ذات لون على نوع خاص من الأخضرار يُطلق عليه الأجانب أخضر نيلي، ففي موسم الفيضان تتكاثر مياه النيل وكأنها تتزاحم ثم إذ بها تتناقص وتهدأ هكذا أيضاً تاريخ مصر بصفة عامة، وقصة الكنيسة بصفة خاصة، فنجد فترة مليئة بالشخصيات هادرة بالأحداث ونلتقي بأخرى هادئة منسابة، والفترة التي بدأت بثورة علي بك الكبير وأمتدت لتشمل الحملة الفرنسية (1798-1801م) من تلك الفترات الكثيفة، فهي لم تذخر بالحوادث الجسام فقط بل ذخرت أيضاً بالرجال البارزين منهم الجنود المجهولين ومنهم القادة الذين حمل لنا التاريخ قصتهم، وهؤلاء وأولئك قد قدموا لنا مثلاً يجب أن نعتز به هو أنهم خلال العواصف والأنواء ووسط الأجناس المتباينة التي سطت على مصر نجحوا في الأحتفاظ بشخصية مصر كما نجحوا في إبراز مقوماتها كلما سنحت، ولذا نقدم بحثاً عن شخصية أثارت جدلاً في أوساط الدراسات الكنسية والتاريخية وهو شاعر كتب مدائح ونسج نُظم الأشعار عن العذراء والقديسين وقصص من الكتاب المقدس بعد توبته ودخلت تلك المدائح في صُلب الليتورجية الكنسية في مدائح التوزيع ومدائح تسبحة شهر كيهك.

الحالة السياسية والأجتماعية للعصر الذي عاش فيه أبو السعد (ق 18).

في عهد السلطان مصطفى الثالث العثماني، وولاية حسن باشاالقايد التركي أشتعلت نارة الثورة بين المماليك وحكم علي بك الكبير ثم محمد بك أبو الدهب ثم تولى إسماعيل بك ومراد بك (أمير الحج)، وإبراهيم بك وكان إبراهيم بك متولى مشيخة البلد، ثم حروب حسن باشاقبطان تولى البلاد في 1786م، وتم بعد ذلك نهب بيوت الكثيرين النصارى، وهجم حسن باشاعلى بيت المعلم إبراهيم الجوهري، وأقام

[†] **بحث أُلقي في *مؤتمر التراث العربيّ المسيحي الرابع والعشرين*، المنعقد في معهد الدراسات القبطيّة بالأنبا رويس-العباسية بالقاهرة في الفترة من 26-27 فبراير 2016م.**

* كاهن كنيسة العذراء مريم بقرية نزلة حرز أبو قرقاص، المنيا – مصر، ومدرس مادة التاريخ الكنسي بالكلية الإكليريكية بالمنيا.

إسماعيل باشا شيخاً على البلاد وأخذ إمارة الحج حسن بك الجداوي وظل إسماعيل بك في حكم البلاد إلى عام 1791م، وانتشر في عهده الوباء، ومات إسماعيل بك وتولى الحكم عثمان بك الطبل وبعد فشله عادا إبراهيم بك ومراد بك لحكم البلاد مرة أخرى، وقاسى الأقباط الأمرين[1].

وفي عهد السلطان العثماني سليم الثالث وتطاحن على مشيخة البلاد إبراهيم بك ومراد بك المملوكان، ثم دخلت الحملة الفرنسية البلاد المصرية في 23 بؤونة 1514ش الموافق 5 يوليو 1798م، ودخلوا القاهرة في 12 أبيب 21 يوليو 1798م، وأداروا البلاد وخرجوا 2 نوفمبر 1801م، ثم عين الباب العالي خسروا باشا، بعده طاهر باشالمدة شهر واحد ثم أحمد خورشيد باشافي 21 مارس 1803م، ثم عُزل وتعين محمد علي والياً على مصر 1 مايو 1805م[2].

وفي عهد البابا يؤانس الثامن عشر البطريرك السابع بعد المائة (1769-1796م)، البابا مرقس الثامن البطريرك الثامن بعد المائة (1796م – 1808م)[3]، وهو الذي نظم تسع قطع لعشية الأحد الثالث من شهر كيهك، ومديح على تذاكية يوم الجمعة، ومديح لسبت الفرح، ومديحين للأحد الرابع ، والخامس من الخمسين المقدسة، ومديح *"أبدي بإسم الله القدوس الإبن الكلمة الرب يسوع"* ، ومديح *"ابدي باسم الله القدوس الخالق ومحيي النفوس"* [4].

انتشر في عصر إستعمال السحر والشعوذة بصورة مخيفة جداً، وانتشر فيه الجهل والفقر والمرض والوباء الذي كان له أثر في حصد كثير من حضارة البلاد، ولم يكن فيه قبس نور إلا ما ندُرَ من بعض الكتاتيب القبطيّة المُلحقة بالكنائس الصغيرة في القرى والمدن، وبعض الكتاتيب المُلحقة ببعض المساجد والتى لجأ إليها الناس للتعلُّم وأيضاً كثير من الناس كانوا يعتبرون الإصابة بالمرض سحر، أو أصابه بمس شيطاني لذا كانوا يلجأون إلى المُعلم أو العريف أو الشيخ لكتابة أحجبة (ورقة تحوي نص سحري)، وأتخذها بعض المُعلمين والمشايخ مصدراً للأرتزاق منها والتربح من تلك الأمور السيئة التي انتشرت في طول البلاد وعرضها، لذا قل إنتاج الكُتب وأنحصر فقط في نسخ الكُتب الليتورجية والتعليمة القديمة ولم يكن هناك إنتاجاً غزير إلا فيما ندُر من مجهودات بعض الكُتاب والمعلمين والعرفاء وانتشر فقط إنتاج الميامر المسجوعة والقصص الغنائية، والمدائح العربيّة التي حفظتها الكثير من المخطوطات.

اسمه وبلده:

اسمه كما يُذكر في المدائح أبو السعد ولد وعاش حياته الأولى في بلدته أبو تيج التابعة لولاية المنفلوطية أسيوط حينذاك، ويظن أنه عاش في القرن السابع عشر[5]، ولكن هناك من يقول أنه أدرك

[1] إسحاق إبراهيم الباجوشي، **'القديس الأنبا يوساب الأبحّ أسقف جرجا وكتاباته'**، بحث أُلقي في اليوبيل الفضي للتراث العربيّ المسيحي، ونُشِر في دورية: ***التراث العربيّ المسيحي***، العدد الثالث، (القاهرة، يوليو 2017م)، 68؛ ميخائيل شاروبيم بك، ***الكافي في تاريخ مصر القديم والحديث***، (سلسلة صفحات من تاريخ مصر 3/48)، الجزء الثالث: **من الفترة من 1512-1800م/ 992-1220هـ**، الطبعة الثانية، (القاهرة: مكتبة مدبولي، 2004م)، 216- 359؛ كامل صالح نخلة والقمص صموئيل السرياني، ***سلسلة تاريخ الآباء البطاركة***، الجزء الثالث: ***بطاركة العصر الحديث 1718-1971م***، الطبعة الثالثة، (القاهرة: مكتبة دير السريان، 2011م)، 36-91.

[2] أنطونيوس الأنطوني (القمص)، ***وطنية الكنيسة القبطيّة وتاريخها من بعد الآباء الرسل حتى الأنتداب البريطاني على مصر (منذ 150م- 1882م)***، الطبعة الثانية، (القاهرة، 2004م)، 337-366.

[3] كامل صالح نخلة والقمص صموئيل السرياني، ***سلسلة تاريخ الآباء البطاركة***، ج3: 36- 66، 67-91.

[4] حسام كمال عبد المسيح، ***45 شخصية في تاريخ الألحان القبطيّة والتسبحة الكيهكية***، في: موقع الكنوز القبطيّة (15 ديسمبر 2017م).

[5] أثناسيوس المقاري، ***صوم الميلاد وتسابيح شهر كيهك***، الطبعة الأولى، (نوفمبر 2013م)، 5؛ حسام كمال عبد المسيح، ***45 شخصية***، 24؛ أثناسيوس المقاري، ***فهرس كتابات آباء كنيسة الإسكندرية: الكتابات العربيّة***، الجزء الثاني (القاهرة، 2012م) 1058-1059.

دخول الحملة الفرنسية مصر عام 1798م[6]، وتعلم في كُتابها وأظهر موهبة عالية في ذكاؤه وتأليف الأشعار والمدائح، وبسبب الظروف الأقتصادية التي جعلت كثير من الأسر ترحل إلى المحروسة (القاهرة) بحثاً عن الرزق لذا لجأت أسرته أيضاً إلى القاهرة، وأستقر بها المقام في حي الأزبكية (منطقة شارع كلوت بك حالياً)، وهو الحي الذي اكتظ بالكثيرين من الأقباط في القرنين 17، 18 ومطلع القرن التاسع عشر الميلاديّ.

حياته الأولى:

عاش حياته الأولى ساحراً جباراً عالماً بأسرار السحر و خفاياه[7]، وأظهر نبوغاً في أعمال السحر والشعوذه، وكان يوهم الناس بإستعمال آيات من سفر المزامير، ويروي البعض أنه قُدمت للبابا مرقس الثامن شكاوي ضده فذهب لإفتقاده بعد أن سَمِعَ أنه يجعل الطوب والحجارة تتشاجر معاً، فذهب إليه البطريرك ليكفه عن أفعاله فلم يستجب لنداء الله في صوت البطريرك وأراد أن يُريّ البطريرك جبروته وقوته فأمر الشياطين أن يصعدوا به إلى العلو فأطاعوه حتي وصلوا به إلى مكان لم يستطيعوا الصعود بعده وهم يحملونه، فرشم الأب البطريرك عليه، فتركته الشياطين يسقط وفيما هو في طريقه إلى الأرض إذ بالسيدة العذراء قد حضرت وحملته وأنزلته سليما إلى الأرض حتى إنه أعلن إنه سيتوب ولن يرجع للسحر مرة أخرى[8].

توبته:

أعلن أبو السعد الأبوتيجي توبته وقدم إعترافاً أمام البطريرك حينذاك.

رجوعه للسحر مرة أخرى:

عدل عن رأيه بعد ذلك ورجع لممارسة السحر مرة أخري فأصيب بالشلل وفي إحدى المرات ظهرت السيدة العذراء في حلم وأعلمته أنه سيشفى إذ ما ترك كتب السحر وأمن بالسيد المسيح له المجد فلما استيقظ استدعي ابنه وأمره أن يُلقي بكتب السحر في البحر لأنه لم يكن يستطيع الحركة، فأخذ ابنه بعض الكُتب وألقاها وترك البعض الآخر، ولما عاد وجد أبو السعد نفسه لم يُشفى فعلم بما صنعه ابنه أنه لم يلقيها كلها فأمره أن يذهب و يلقي الكل في البحر، فلما ألقاها هاج البحر وذلك بجوار منطقة فم الخليج، و حدث به غليان شديد وكأنها نار.

وبعد أن تم شفائه ورجع إلى حضن الكنيسة وأصبح شماساً بها وأخذ يؤلف مدائح كثيرة للعذراء مريم يمجدها فيها علي ما فَعَلتهُ معه، نظّم مدائح للعذراء والملاك ميخائيل، ومديحة خاصة بالتوبة ومكث يروي الميامر بالأشعار، ويغنيها على أوزان، وأسس كُتاباً لتعليم الأطفال اللغة القبطيّة والعلوم المسيحية المتاحة في عصره ومهنة النساخة ونقل النصوص التي أذدهرت حينذاك.

وظل كُتابه معروفاً حيث نجد في سيرة المعلم ميخائيل جرجس البتانوني أنه ولد في 14سبتمبر 1873م (وكان والده موظفاً بالحكومة)، وأُصيب بالرمد وهو ابن ثلاثة سنوات وفقد بصره وأرسله أبوه

---

6 ***مجلة عذراء الزيتون***، عدد (8) بتاريخ (يناير 2006م).

7 مكاريوس الأسقف العام (الأنبا)، ***مدخل إلى الموسيقى القبطيّة***، تقديم الأنبا أرسانيوس مطران المنيا وأبوقرقاص، الطبعة الأولى، (القاهرة: مطابع النوبار، أكتوبر 2010م)، 370.

8 https://www.light-dark.net/t1148777

إلى كُتاب "أبو السعد بالأزبكية" حيث كان يدرس المزامير والتسبحة واللغة القبطيّة والألحان وذلك بين عامين (1879- 1880م)[9].

نياحته:

تنيح أبو السعد الأبو تيجي بالأزبكية قُبيل دخول الحملة الفرنسية القاهرة، وبكاه البابا مرقس الثامن، ودُفن في مصر القديمة.

بعض الفقرات التي تُعبر عن مراحل حياته:

يُعد المزمور الخمسون من أقوى مزامير التوبة لداود لأنه كتبه بعد توبته من سقطته[10]، وإذ شعر فيه بإنسحاق القلب أدرك وقتها عمل النعمة، وترك لقلبه أن يعزف على أوتاره الروح القدس فشاد بأجمل أناشيد التوبة نرى ذات الأمر يتكرر مع أبو السعد الأبو تيجي فقدم ما يقرب من 15 خمسة عشر أنشودة، بها آثار آلامه، وكطلبه للرحمة الإلهية.

- **يطلب تهنئته بمعجزة العذراء والدة الإله معه بأنقاذه من الموت:** ***".. هزمتِ كراديس الأعداء : وبك فُزنا من بحر النار: نعظمك يا بكر مدى: العمر إلى عقب الأدهار .. كل جسد حي ونَسمة: يجي الآن ويهنينا: أي لغة وأي نغمة: بصوت عالي يناغينا .."*** [11]
- **أُصيب بشلل بسبب رجوعه للسحر وكانت الناس تترد عليه لزيارته وسماع بعض أشعاره:** ***".. أسألك من فضلك يامريم : كما صنعت السر الأعظم: جرحي قاح وأنت المرهم: داويني برشم بي أستافروس... أبو السعد أسمي منسوب: وبين الناس فعلي معيوب: وبشفاعتك يصير ذنبي مشطوب: أنا ومن عندنا هنا جلوس ..."*** [12]
- **يتكلم عن تعب رجليه، ويذكر أسمه وبلده:** ***"... يا مريم منك تفريج: أنا عبدك نجيني: سالك في سبل التعريج: طالب منك تهديني.. أبو السعد من أبوتيجي: في يوم عُرس أبنك أدعيني: لكي أفرح بدخول الملكوت: وأبلغ به قصدي ومرادي.. والسلام مني إليك: أبنك هو حظي ورجائي: يا من هو يعلم وجعي: منك الصبر على بلواي.. نجيني لكي يزول جزعي: ومن الفخ أُطلق قدماي: والحُضار أقبل توبتهم: ..."*** [13]
- **يُرثي لحاله بعد عودته الثانية للسحر:** ***"... ويل للشعب المخالف: ويل لغلاظ الرقاب: أحبوا طُرق المتالف: وأبغضوا طرق الصواب.. والذين عادوا للخطايا: يأخذون أكثر عذاب: ونالتهم ظُلمة شنيعة: ثم دود لا ينام..."*** [14]

---

9 أريانوس عادل إسحق (القس)، ***كُتاب المدائح الكيهكية***، (2016م – بحث غير منشور)، 15.

10 (صموئيل الثاني الأصحاح 12).

11 **القطعة الأولى علي ثيؤطوكية السبت، (القطع التسعة لأبو السعد على تفاسير ثيؤطوكية السبت)**؛ انظر: دير السريان، ***الأبصلمودية الكيهكية المقدسة***، الطبعة الثانية، (القاهرة: دار نوبار للطباعة، 2007م)، 50- 51.

12 **مديحة ثالثة تقال في رفع بخور عشية وباكر مطلعها:** ***'أبدي بأسم الله القدوس: سيدنا إيسوس بي أخرستوس:..'***؛ انظر: دير السريان، ***الأبصلمودية الكيهكية المقدسة***، 97- 200.

13 **ثيؤطوكية واطس عربيّ علي تداكية يوم الأربعاء مطلعها:** ***'أمدح فيكي يا أم النور ..'***؛ انظر: دير السريان، ***الأبصلمودية الكيهكية المقدسة***، 441-446.

14 **ثيؤطوكية واطس عربيّ على تداكية يوم الخميس مطلعها: "السلام لك يا شفيعة .."** ؛ انظر: دير السريان، ***الأبصلمودية الكيهكية المقدسة***، 495- 500.

ما ذكره الدكتور القس باسليوس صبحي:

’... يذكر عالم القبطولوجي الألماني الأب جورج جراف في مؤلفه المشهور تاريخ الأدب العربيّ المسيحي، فقرة 733: بعض المدائح التي تُنسب له (لفضل الله الإبياري) أو لأبي السعد الأبو تيجي، وهي مدائح لكلٍ من: القديس أبادير الأنطاكي، ولا يرالي وباسيليوس الهاربين لمصر، ولمارجرجس ولمار بقطر، وكذلك مدائح لعيد مجيء السيد المسيح إلى أرض مصر، وعن حياة أيوب وأولاد يعقوب الأثني عشر، وعن التوبة ....‘. [15]

من أعماله المنشورة:

- **رواية نزهة النفوس في سيرة الملك أرمانيوس**، (أمه عمته وأبوه خاله)، عن النسخة الأصلية للقمص عبد المسيح سليمان، تأليف الأرشي أبو السعد الأبو تيجي، طُبع بالصورة (القاهرة، مكتبة مار جرجس بشيكولاني بشبرا: 1638ش -1961م)، (في 28 صفحة).
- **مديح القس الحزين[16].**
- **كتاب المدائح الروحية حسب طقوس الكنيسة القبطيّة**، جمع وتنقيح وتهذيب وترتيب، المعلم فرج عبد المسيح مرتل كنيسة السيدة العذراء بروض الفرج، الأرشيذياكون جميل توفيق إبراهيم رئيس شباب مار جرجس بالقللي، الطبعة الأولى (القاهرة، مطعة فاصد خير: 1959م- 1675ش)، في 623 صفحة.

1. مديحة واطس للعذراء تقال على الأبصالية في صلاة عشية الحدود الكيهكية مطلعها: *’أمدح في عذراء وبتول وبمعونتها أتكلم ...‘* ، وهو مرتب على الهجائية العربيّة .(23-26).
2. تسع قطع عربيّة تقال في تسبحة عشية آحاد كيهك على قطع ثيؤطوكية يوم السبت (26- 59).
3. مديح واطس يقال على ثيؤطوكية يوم الخميس: *’السلام لك يا شفيعة ..‘* (115- 121).
4. مديح آدام يقال على أيكوتي أنثوك: *’أمدح في عذراء وبتول وبمعونتها أتكلم‘* (174-177).
5. مديح للأحد الثالث في توزيع شهر كيهك: *’ابدي باسم الله القدوس ..‘* (241- 244).
6. مديح الأحد الأول من الصوم الكبير: *’الصوم الصوم للنفس ثبات ..‘* (328- 331).

[15] ماجد صبحي (الدكتور القس باسليوس صبحي حالياً)، في: ***مجلة الكرمة الجديدة***، العدد الأول، (2004م)، 165-174، هامش رقم (43).

[16] إسحاق الباجوشي و بيجول أُنسي، **’القطع الزجلية والمدائح العربيّة في المخطوطات القبطيّة والعربيّة: مخطوطات سمالوط نموذجاً (الجزء الأول)‘**، (2015م)، ونُشِرَ في: العدد الحالي من الدورية.

المصادر والمراجع:

1. الكتاب المقدس (طبعة دار الكتاب المقدس).
2. أبو السعد الأبو تيجي، ***رواية نزهة النفوس في سيرة الملك أرمانيوس، (أمه عمته وأبوه خاله)***، عن النسخة الأصلية للقمص عبد المسيح سليمان، طُبع بالصورة (القاهرة: مكتبة مار جرجس بشيكولاني بشبرا، 1638ش-1961م).
3. أثناسيوس المقاري (الأب)، ***صوم الميلاد وتسابيح شهر كيهك***، الطبعة الأولى، (القاهرة، نوفمبر 2013م).
4. أثناسيوس المقاري (الأب)، ***فهرس كتابات آباء كنيسة الإسكندرية: الكتابات العربيّة***، الجزء الثاني (القاهرة، 2012م).
5. أريانوس عادل إسحق (القس)، ***كُتاب المدائح الكيهكية***، (2016م) (بحث غير منشور).
6. أنطونيوس الأنطوني (القمص)، ***وطنية الكنيسة القبطيّة وتاريخها من بعد الآباء الرسل حتى الانتداب البريطاني على مصر (منذ 150م- 1882م)***، الطبعة الثانية، (القاهرة، 2004م).
7. حسام كمال عبد المسيح، ***45 شخصية في تاريخ الألحان القبطيّة والتسبحة الكيهكية***، موقع الكنوز القبطيّة (https://coptic-treasures.com) (15 ديسمبر 2017م).
8. دير السريان، ***الأبصلمودية الكيهكية المقدسة***، الطبعة الثانية، (القاهرة: دار نوبار للطباعة، 2007م).
9. فرج عبد المسيح (المعلم)، جميل توفيق إبراهيم (الأرشيذياكون)، ***كتاب المدائح الروحية حسب طقوس الكنيسة القبطيّة***، الطبعة الأولى (القاهرة: مطبعة قاصد خير، 1959م- 1675ش).
10. كامل صالح نخلة، القمص صموئيل السرياني، ***سلسلة تاريخ الآباء البطاركة***، الجزء الثالث: ***بطاركة العصر الحديث 1718-1971م***، الطبعة الثالثة، (القاهرة: مكتبة دير السريان، 2011م).
11. مكاريوس الأسقف العام (الأنبا)، ***مدخل إلى الموسيقى القبطيّة***، تقديم: الأنبا أرسانيوس مطران المنيا وأبوقرقاص، الطبعة الأولى، (القاهرة: مطابع النوبار، أكتوبر 2010م)، 370.
12. ميخائيل شاروبيم بك، ***الكافي في تاريخ مصر القديم والحديث***، (سلسلة صفحات من تاريخ مصر 3/48)، الجزء الثالث: ***من الفترة من 1512-1800م/ 992- 1220هـ***، الطبعة الثانية، (القاهرة: مكتبة مدبولي، 2004م).

الدوريات والمجلات:

13. إسحاق الباجوشي، بيجول أُنسي، **'القطع الزجلية والمدائح العربيّة في المخطوطات القبطيّة والعربيّة: مخطوطات سمالوط نموذجاً (الجزء الأول)'** (بحث في 2015م)، نُشر في: دورية ***التراث العربيّ المسيحي***، العدد الثالث (القاهرة، يوليو 2017م) – العدد الحالي.
14. ماجد صبحي (الدكتور القس باسليوس صبحي حالياً)، **'شخصيات من تاريخنا'**، في: مجلة *الكرمة الجديدة*، العدد الأول، (2004م)، 165- 174.
15. ***مجلة عذراء الزيتون***، عدد (8) بتاريخ (يناير 2006م).